

المجلد 09/ العدد 02/ ديسمبر (2025)، ص.ص. 124-136

الجهود النظرية للخطاب السيميائي في النقد الجزائري "عبد الحميد بورايو أنموذجا"

Theoretical efforts of semiotic discourse in Algerian criticism: Abdelhamid Bourayou as a model

د. بودية محمد

boudiamhamed@hotmail.com

جامعة سعيدة الدكتور مولاي الطاهر
(الجزائر)

بعوش بن يحيى*

benyahiabaouche2@gmail.com

جامعة سعيدة الدكتور مولاي الطاهر
(الجزائر)

تاريخ النشر: 2025/12/02

تاريخ القبول: 2025/10/07

تاريخ الاستلام: 2025/08/26

ملخص: يسعى هذا البحث إلى دراسة إحدى التجارب النقدية التي فرضت نفسها على الساحة النقدية الجزائرية المعاصرة، والمتمثلة في أعمال الناقد عبد الحميد بورايو، من خلال تسليط الضوء على أهم الأسس والمرجعيات التي كونت ملامح التجربة النقدية لدى الناقد وأسهمت في بروزها، كما يحاول هذا البحث من ناحية أخرى الكشف عن مدى حضور مقولات الدرس السيميائي في ثنايا هذه التجربة.
كلمات مفتاحية: عبد الحميد بورايو، النقد الجزائري، السيميائية، التجربة النقدية، المصطلح.

Abstract :

This research seeks to study one of the critical experiences that imposed themselves on the contemporary Algerian monetary scene, which is represented in the works of the critic "Abd El Hamid Bourayo". By highlighting the most important foundations and references that formed the features of the critic's critical experience and contributed to its emergence and enrichment. On the other hand, this research attempts to reveal the extent of the presence of the semiotic lesson categories within this pioneering critical experiment

Keywords: Abdel Hamid Borayo, Algerian criticism, semiotic, critical experience, Term

مقدمة:

إن المتأمل في الخطاب النقدي الجزائري منذ لحظة التأسيس والتشكل إلى يومنا هذا يجدد يعيش أزمة نوعية أفرزتها إشكالات عديدة قيدت حركيته، وفي غالبيتها تنضوي تحت إشكاليتي المنهج والمصطلح واضطراب الترجمة، فمع مطلع الستينات من القرن الماضي بدأ النقد الجزائري مرحلة مهمة حيث تراجع النقد الصحفي وبدأت عملية تأليف الكتب النقدية، وحاول النقد تفسير العمل الأدبي بكل موضوعية - باستثناء النقد الانطباعي - من خلال النظر إلى الظروف المحيطة به (التاريخية والاجتماعية والنفسية...)، وفي هذا الشأن يقول الناقد "يوسف وغليسي": "والآية على كل ذلك أن بيبليوغرافية النقد الجزائري لا تدلنا على أي كتاب نقدي قبل سنة 1961 تاريخ صدور كتاب "أبي القاسم

سعد الله" (محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري الحديث). وبعد هذا التاريخ جذت بعض المستجدات والتي كان من الاتمها أن نهضت تجربتنا النقدية، وبدأت تبشر دراسة النص الأدبي بروح منهجية أخذت تتطور شيئاً فشيئاً¹ بعد استقلال الجزائر، كان لزماً على الجامعة الجزائرية أن تكون الباحثين في مختلف المجالات، حيث قامت بإرسال بعثات من الطلبة والأساتذة إلى دول المشرق العربي أمثال: أبي القاسم سعد الله، محمد مصايف، عبد الله الركيبي، صالح خرفي، عبد الحميد بورايو)، حيث تتلمذ هؤلاء على أيدي نقاد المشرق من أمثال (شوقي ضيف، محمد مندور، عمر الدسوقي، شكري فيصل، سهر القلاوي، نبيلة إبراهيم)، وفي هذه الفترة هيمنت الثقافة المشرقية على التجارب التأسيسية في النقد الجزائري مما جعل نقادنا مرتبطين بالمدرسة المشرقية ينهلون من عطاءات نقادها وانعكس ذلك التأثير على التوجه النقدي للباحثين الجزائريين وتجلي ذلك في منجزاتهم، ومن ذلك تبني المنهج التاريخي في النقد الجزائري الذي تبلور مع الباحث "عبد الله الركيبي" في رسالة الماجستير في جامعة القاهرة سنة 1967 الموسومة بالقصة الجزائرية القصيرة ومن هنا أخذ النقد الجزائري يعزز مكانته داخل الساحة النقدية الأدبية في تلك الفترة بما قدمه من منجز مساهمات للكتابة الأدبية ومنظراً لها.

لكن على الرغم من النتائج التي حققتها هذه الدراسات التي قدّمها هؤلاء النقاد في ظل هذه المناهج (السياقية) في تفسير النصوص الأدبية، وتحليلها في ضوء سياقاتها المختلفة: الاجتماعية، التاريخية والدينية، إلا أنها لم تخرج عن التفسير التعليلي، ومحاولة البحث عن الأصول التي انبثقت عنها هذه النصوص الأدبية، دون مقارنة النص ذاته، ولذلك عجزت عن تحليل بنات الأثر الأدبي ودلالاته العميقة، واكتفت بدراسته سطحياً، والبحث عن ملاساته التاريخية والسياسية. وقد عالج الناقد (بورايو) هذه المسألة في كتابه (منطق السرد - دراسات في القصة الجزائرية الحديثة) في قسمه النظري في مبحث عنوانه بـ "التاريخ الأدبي ودراسة النصوص" حيث يرى أن تدريس الأدب ظل منذ الاستقلال خاضعاً للتقسيمات التاريخية المتعسفة التي نادت بها مناهج التاريخ، وظل الأدب يعتبر هيكلأ أجوف يتم ملؤه من طرف المؤلفين الذين يحملونه قضاياهم وهمومهم ومشاعرهم، ويأتي فيما بعد دور القارئ لكي يعنصر هذه الإسفنجية، ويعيد استخراج العناصر التي انتفخت بها ليعيها ويكتشفها من خلال الربط بينها وبين ما عرفه عصر المؤلف وسيرته الذاتية، وهي صورة مشوهة - كما يرى بورايو - لذلك وصل إلى نتيجة مفادها أن أزمة تدريس الأدب العربي تكمن أساساً في انقطاع المنظومة التربوية عن متابعة التطورات التي عرفتها الدراسات الإنسانية أو الاجتماعية بصفة عامة والدراسات اللغوية والأدبية بصفة خاصة²

إن رفض النقاد للمناهج الكلاسيكية كان سببه عجز هذه الأخيرة وعدم قدرتها على مساهمة ما استجد من تطور على الساحة النقدية، وبقاء هذه المناهج تحوم حول النصوص دون ولوجها، أو محاولة استنطاقها من خلال الاشتغال على الجانب الإبداعي والجمالي فيها، وهذا الرفض نلمسه بوضوح عند الكثير من النقاد العرب، ففي هذا الشأن يقول الناقد "عبد المالك مرتاض": "ولكن ما لا ينبغي أن نختلف فيه أن المناهج التقليدية بقصورها وانطباعاتها وفجاعتها وأقبيتها لا تستطيع أبداً، وما ينبغي لها أن ترقى إلى مستوى النص الأدبي من أمره المعقد المتعاص شيئاً ذا بال، فلنكن ما نشاء ومن نشاء في منهجنا، ولكن لا نكون فقط تقليديين. ذلك ولو أننا تسامحنا مع أنفسنا وسقطنا في أحوال التقليدية الفجة نعيب منها ونكر، فلن نصبح قادرين على بلوغ بعض ما نريد من أمر النص الأدبي الذي نعرض له بالتشريح"³. ولم يكشف هذا الناقد بإبداء رايه تجاه تلك المناهج (التقليدية)، بل نجده يشن هجوماً عنيفاً على النقاد التقليديين، ويرى أن ما يقومون به هو عمل متخلف، إذ يقول "ألفينا بعض النقاد الجزائريين لا يستحي من الباطل أن يدعو جهاراً إلى تبني في جامعاتنا اليوم، وفي أواخر القرن العشرين بعض المناهج التي كانت سائدة في أوروبا منذ قرن أو أكثر من قرن ولم يعد اليوم أحد من النقاد الحقيقيين يتقبلها في أي شيء من أشكالها"⁴.

1- افتتاح النقد الجزائري على الخطاب السيميائي:

لم يكن النقد الجزائري المعاصر بمنأى عن الثورة التي أحدثتها اللسانيات والتحولات العميقة التي عرفها النقد الغربي فقد بدأ الخطاب النقدي الجزائري يعرف تحولا في تعامله مع النص الأدبي وذلك من أجل تجاوز المناهج السياقية إلى المناهج الحداثية من خلال تبنيه مقولات النقد النسقي، وتزامن ذلك مع ظهور كتاب النص الأدبي، من أين؟ وإلى

أين؟ سنة 1983 للنقاد عبد الملك مرتاض، وفيه إعلان عن بداية جديدة وقطعية إبستمولوجية مع ما سبق من مناهج تقليدية. وحاول نقادنا التفاعل مع مناهج النقد الألسنية، ومنها المنهج السيميائي الذي يعدّ من أهم المناهج اللغوية الحديثة التي عنيت بالنص الأدبي بعيداً عن قبضة التاريخ وعلم النفس وسلطة المؤلف. وقد شغل هذا المنهج جزءاً كبيراً من مساحة النقد الجزائري الحديث كونه أحد الاتجاهات التي حاولت أن تكشف عن خصائص الأجناس الأدبية المختلفة، واهتم الخطاب السيميائي بكثير من المدونات السردية (الحكاية، القصة، الرواية) وشوغلها الفنية، وحاول أن يوازن الخطي بين التوجه إلى علامات النص، وما تحيل إليه تلك العلامات، وحمل هذا الخطاب مثل سواه من الاتجاهات النقدية الأخرى الكثير من الأسئلة والإشكالات، وقد اختلف النقاد في تطبيقه على النصوص، مما دفع بهم إلى الوقوف عند كثير من محطاته لعل ذلك يقودهم إلى التعرف على الكثير من إشكالاته ونقائصه.

وإذا كان هذا الخطاب قد حظي باهتمام كبير في الوطن العرب عامة وفي الجزائر على وجه الخصوص نتيجة نهله من معارف متعددة، فإنه في المقابل سيجد الباحث في هذا المجال أنّ هذا الخطاب يختلف عن الخطابات الحديثة والمعاصرة الأخرى، فهو خطاب يستعصي على القارئ نتيجة افتتاحه على معارف عدّة، ممّا دفع به إلى الخروج من القوقعة التي كان يعيش فيها النقد الأدبي، و"من هنا يمكن أن نعتبر الخطاب السيميائي بأنّه ليس مجرد أداة يتوسل بها للبحث عن المعرفة وفحصها، أو مجرد خطوات إجرائية تساعد على الوصول وتقديم الدليل، وإنما هو يمثل رؤية أفرزتها الظاهرة العلمانية المعتمدة أساساً على نظرية نقدية شمولية، ما فتئت أن تدك الحدود الفاصلة بين مختلف العلوم والتخصصات لتطرح (كوجيطو ديكرت) "أنا أفكر أنا موجود" وتستعص عنه مقولة "أنا أتكلّم إذن أنا موجود" مشرعة بذلك انقلاباً منهجياً، تستعير فيه الخطابات النقدية أدوات بعضها البعض في خطاب مركب متميّز بالأصالة، ويقوم على قراءة متأنية ومعقّدة للسياقات الثقافية الإبستمولوجية".⁵

وإذا كان الخطاب السيميائي لم تتضح معالمه أكثر في الأرضية التي نشأ فيها، فمن البديهي أن يجد الناقد العربي المشتغل على هذا الخطاب صعوبة في ترجمة مفاهيمه ومصطلحاته ونقلها إلى أرضية أخرى تختلف في ثقافتها عن الثقافة التي نشأت فيها تلك المعارف، وبالتالي يصعب تبني هذا الخطاب وتحديد أسسه المنهجية والقبض على أدواته الإجرائية وتطبيقه على النصوص الأدبية، وهذا في ظل افتقاد نقادنا للخلفيات المعرفية التي تقف وراء ذلك الخطاب. فانتقال أيّ منهج من المناهج النقدية إلى نقدنا العربي والتأسيس له لا بد أن يتم عن طريق الترجمة، وإن كانت هذه الأخيرة قد أجمحت في كثير من الأحيان في حق النصوص والمفاهيم، وهذا نتيجة المشاكل التي تتخبط فيها، وسبب ذلك أن "الترجمة بالشكل الذي تتم به وبحكم تعبيرها عن رغبة فردية تخضع لميول شخصي أكثر مما تخضع لفعل معرفي جماعي، تزيدها غموضاً على غموض، ولا تنفي بالغرض العلمي".⁶

انطلاقاً من ذلك عمد نقادنا إلى تبني المنهج السيميائي بوصفه أحد المناهج النقدية السّبقية، وتلقوه بطرائق متعددة وتبنوا أطروحاته النظرية وطرائقه في التحليل، محاولين تكيفه وفق خصوصية النص الأدبي العربي.

2- تلقي الخطاب السيميائي لدى عبد الحميد بورايو:

ليس بوسع أي باحث أو ناقد وهو يفتتح على منهج معرفي أو نظرية نقدية أن يعني نفسه من مسؤولية التعريف بهذه النظرية ونقلها من موطنها الذي نشأت فيه كمنجز معرفي نقدي له مرجعياته الفكرية والفلسفية، ولا أن يصرف نظره عن سياقاته الخاصة به، وخاصة إذا تعلق الأمر بمنهج تعددت المشارب المعرفية التي ينهل منها مثلاً هو الحال بالنسبة للمناهج السّبقية التي تستمد معارفها من علوم شتى وذلك من أجل بسط المعارف وإثارة الطريق للباحثين والنقاد الآخرين، إذ أنّ مهمة البحث عن الأصول العلمية والمعرفية التي تقوم عليها النظريات النقدية، ومساءلة أبعادها الفلسفية والإبستمولوجية ضرورة ملحة لاستيعابها والوقوف على أبرز مفاهيمها النظرية وإجراءاتها التطبيقية، وذلك قبل دمجها في الساحة النقدية العربية، إذ لا يمكن تقديم هذه المفاهيم والمقولات مفصولة عن منطلقات وأصولها التي انبثقت عنها، ولا نقدم - كما تقول "بني العيد" - على "نقلها وتكرارها، بوضعها قيد الاستعمال في سوق النقد الأدبي (...)" بل بإعادة إنتاجها بالشغل على النص الأدبي⁷ الأمر الذي من شأنه أن يضيف على هذه المناهج والتطبيقات الوافدة إلينا من الغرب طابع الخصوصية العربية، ويؤدي إلى التأصيل المنهجي، ومن ثمّ يُخلصها من التبعية الكلية للنقد الغربي.

غير أنّ ذلك لن يتحقق في ظل القطيعة الإيستيمولوجية التي يشهدها خطابنا التقدي المعاصر مع أصوله وخلفياته المعرفية الممتدة في حقول الفكر التقدي الغربي، فكل خطاب حسب رأي "محمد عابد الجابري" "يصدر عن رؤية ولا بد : إما صراحة وإما ضمناً، والوعي بأبعاد الرؤية شرط ضروري لاستعمال المنهج استعمالاً سليماً مئماً (...)" ذلك لأنّ هذه الرؤية هي التي تؤطر المنهج وتحدّد له أفقه وأبعاده".⁸

من هذا المنطلق كان لزاماً على نقادنا تحديث الخطاب التقدي الجزائري، وليس المقصود هنا هو مجرّد النقل الحرفي والآلي لأدوات وإجراءات غربية يُجهل أصلها ونسبها بدعوى "أنّ المناهج العلمية ملك مشاع، وإنجاز إنساني للجميع، ولعلّ من لم يسهم في تشكيلها أشد حاجة إليها من توفرت لديه العوامل لإنضاجها وبلورتها".⁹ وتلك هي المفارقة أن يتحدث الناقد الجزائري المتمثل للمناهج ونظريات وإجراءات ومصطلحات مستعارة، ومقطوعة الصلة بأسسها وخلفياتها المعرفية ثم يدّعي البحث عن خطاب تقدي جزائري أصيل شكلاً ومضموناً¹⁰. ومن هذا المنطلق كان لزاماً على نقادنا أن يدركوا مدى صعوبة المهمة، وهذا ما دفع بهم إلى التنظير لهذه المناهج والتأسيس لها لإزالة الغموض عنها حتى يتسنى للقارئ العربي الإدراك الجيد لتلك المناهج.

تراوح الخطاب التقدي عند الباحث (عبد الحميد بورايو) بين تجليات نظرية وأخرى تطبيقية أسهمت إلى حد كبير في إثراء الخطاب التقدي العربي عموماً والجزائري بصفة خاصة، خصوصاً بعد تبنيه للفكر السيميائي الفرنسي (مدرسة باريس) (Sémiotique de L'École de Paris)، قصد تأسيس مشروع تقدي ونظرية سيميائية في تحليل النصوص السرديّة، وقد استهل الباحث مساره التقدي في تحليل الخطاب سيميائياً عبر مجال السردية بتقديمه للعديد من الدراسات وذلك رغبة منه في الدخول إلى مرحلة أكثر تأسيساً لإرساء معالم الدرس السيميائي ضمن تجربته في هذا المجال (السيميائي) للتدليل على حقائق هذه الدراسة التي عبر من خلالها على تبنيه لهذا المنهج. إضافة إلى الجهود التي قدمها في مجال الترجمة إذ عمد إلى ترجمة أهم ما استجد في النقد الأدبي الغربي ونقل أهم النظريات التقديّة الغربية المعاصرة إلى الساحة التقديّة العربية وذلك بعد الإحاطة بمفاهيمها والمرجعيات المعرفية والفلسفية التي تقوم عليها.

ولما كان الأصل في الشيء أسبق من وجود الشيء ذاته أثر الباحث البدء بالحديث عن الأصول العلمية للنظرية قبل الولوج في أغوار مقولاتها، لأنّ فهم هذه المناهج وآليات اشتغالها يتطلب وعياً مسبقاً بالخلفيات العلمية والفلسفية وبالمناخ الثقافي والتاريخي الذي نبت فيه، وذلك درءاً للمزالق التي وقعت فيها الدراسات النقدية التي سبقتها. ومن أجل إرساء دعائم منهج سيميائي واضح المعالم في النقد الجزائري المعاصر، عمد الباحث إلى مجموعة من الأعمال حاول من خلالها للتأسيس والتأصيل لهذا الخطاب - داخل النقد الجزائري - يقوم على أسس معرفية متينة، وذلك باعتبار أنّ الخطاب التأسيسي التأصيلي ينضّ بمهمة "تأصيل النظرية من خلال ردّها إلى أصولها وروافدها العلمية وعرض أسسها التي قامت عليها، هدفه من ذلك التعريف بها وتقريبها من القراء والمتعلمين وممارسي النقد على حد سواء، وتيسير سبل استيعابها لديهم عبر تحديد منطلقاتها وضبط أبعادها وأهدافها"¹¹

في هذا الإطار الذي يراعي الأصول العلميّة والاستيمولوجية، التي تستمدّ منها هذه المناهج إجراءاتها وأدواتها التنظيرية والتطبيقية، يقدم لنا الباحث "عبد الحميد بورايو" نظريته السيميائية، وذلك من خلال التأريخ لها بالعودة إلى الأصول والمرجعيات التي تنهض عليها في بناء تصوّراتها وإجراءاتها التحليلية، فالباحث من النقاد الجزائريين الذين تلقوا المعرفة السيميائية من منابعها الأصلية بطريقة مباشرة، ودرس على يد بعض أعمدة النقد السيميائي أمثال (كلود برمون).

تبلور التجربة التقديّة للنقاد "بورايو" من خلال تنوع منجزه التقدي وذلك بتوجهه لدراسة التراث الشعبي؛ هذا الإنتاج الثقافي والفني الذي تمثل جزءاً هاماً من ثقافة مجتمعتنا العربي والتي ظلّ - حسب رأي الباحث - مهمّشاً ومستبعداً من طرف البحث الأكاديمي لفترة طويلة من الزمن. إذ يعد مؤلفه "القصص الشعبي في منطقة بسكرة سنة 1978" باكورة أعماله التقديّة التي حاول فيها إيجاد آليات جديدة لتحليل هذه النصوص التراثية (خاصة الحكايات)، باعتبار أنّ التعامل مع هذه النصوص التراثية يحتاج إلى آليات أخرى غير التي يتيحها المنهج السوسولوجي وذلك بسبب صعوبة الحصول على المعطيات السوسولوجية المتحركة في إنتاج هذه النصوص نظراً لارتباطها بحقب تاريخية موعلة في القدم، فمن ومكان إنتاجها الأول مجهولان ولا تتوفر عنها أي معطيات. وقد أولت التطبيقات الأولى للسيميائيات الشكلانية عناية خاصة بالقصص الشعبي، خاصة وأنّ التحليلات السردية الغريماسية أثبتت على جهود

الشكلاني الروسي "فلاديمير بروب" "vladimir Propp"، إضافة إلى الدراسات التي قدمها أقرب الباحثين وفاء إلى منهج غريماس "A.J. Greimas" و "جوزيف كورتيس" "J. Courtes" في مجال التحليل الحكائي. ولقد تمخّذ هؤلاء الطريق لهذه العناية. أضف إلى ذلك أنّ "السميائية الشكلانية التي اعتمدت في تحليلاتها على ميراث الدراسات البنوية في مجال علم الدلالة والأنثروبولوجيا استندت بصفة أساسية على مفهوم الأساق في دراسة العلامات والرموز وهو معطى يتيسر اكتشافه في التراث الشعبي القصصي باعتباره تمثيلاً لفكر ونظرة للعالم ورؤية كونية متكاملة تتمّ تحديدها في الدراسات الحضارية والأنثروبولوجية، مما يسهل على الباحث في هذا المجال الكشف عن البنية العميقة للأثر المدروس باعتبارها بنية فكرية حكمت مختلف الإنتاجات الثقافية التي عالجتها الأبحاث التاريخية والأنثروبولوجية والحضارية"¹²

نتيجة ذلك وجد الباحث نفسه في حاجة ماسة إلى العودة إلى الدراسات الميثولوجية، والأنثروبولوجية، والشكلانية، فلقد لفت انتباهه المنهج الشكلاني الروسي، لدى (فلاديمير بروب) الذي أولى له عناية فائقة إلى درجة أنّه أصبح فنانة في تحليله للتصووس حيث نجد هذا المنهج يشكل أرضية صلبة لجلّ الدراسات والنظريات التي ارتكزت على التحليل الوظيفي كالبنوية والسميائية السردية، ولعل السبب وراء ذلك طبيعة المادة التي يتعامل معها وهي التراث الشعبي والذي يتواءم والنموذج التي اقترحه (فلاديمير بروب) وحاول الاستعانة بهذه المناهج الحديثة التي قدّمت نتائج هامة في مجال تحليل المحكي في محاولة للاقترب أكثر من الأشكال السردية التراثية. ويرى الباحث أنّ هذه المناهج ليست مخالفة تماماً للمنهج السوسولوجي، بل يجد فيها عناية كبيرة بالظروف الاجتماعية التي أنتجت المادة الثقافية، غير أنّ اهتمامها الأول يتعلق برصد الخصائص الشكلية لهذه المادة المدروسة. فالباحث من جانب أثر في نفسه ميلاً نحو النصوص السردية الحكائية، القصصية، والروائية النازعة دوماً نحو خرق السائد وتأسيس الجماليات التي تصنع جدتها، ومن جانب آخر تأثر إلى حد بعيد بما حققته الدراسات الحديثة. خاصة في مجال المحكي ومقاربة آلياته.

سعى الباحث (بورايو) من خلال الجهود التي قدّمها في هذا المجال إلى التعريف بالنظرية السميائية وبعض المفاهيم التي تؤطرها، فلقد رأى الباحث أن يتناول هذه النظرية بالبحث والقراءة والعرض والشرح رغم التعقيدات والإشكالات التي تكتنفها، والصعوبات التي تحيط بها، وذلك بغية إقامة تصور منهجي للخطاب السميائي السردية وآليات اشتغاله والإحاطة الواعية بالأجهزة المفهومية والاصطلاحية التي تحكمه.

من بين أهم الجهود النظرية التي تصنف ضمن ما يعرف بالتنظير للخطاب السميائي في النقد الجزائري ما قام به الباحث (عبد الحميد بورايو) في مؤلفات عدة، ومنها كتابه "منطق السرد - دراسات في القصة الجزائرية الحديثة - الذي يعد من بين أهم الدراسات التي تنزع منزع التأصيل والتأسيس إلى جانب التنظير وذلك عبر ردّ النظرية إلى أصولها ومنابعها الأولى، وتفحص دلالات المفاهيم والمصطلحات ضمن هذه الأصول لمعرفة حقيقتها، والتعرف على التطور الذي لحق بها بعد نقلها من بيئتها الأولى. وضمن هذا السياق عمد الباحث إلى محاولة تزويد القارئ بمادة علمية يضعها أمامه ليعفيه من تبديد جهده في ملاحقة المصادر والمراجع وتبديد وقته، وإعطائه فكرة شبة كاملة حول الخطاب السميائي وآلياته.

تطرق الباحث في الجزء النظري من كتابه منطق السرد إلى قضيتين أساسيتين في الدرس الأدبي هما: مسألة خصوصية النص الأدبي والتي تميّزه عن غيره من التصووس الأخرى، وعلاقة الإبداع الأدبي بالتراث أي تداخل النص الأدبي مع مجموعة من التصووس الأخرى التي تشكل التراث الأدبي لأمة من الأمم، وقد اعتمد في ذلك استقراء كلام "ابن خلدون" عن قضية الأسلوب الذي اعتبره الباحث (بورايو) خلاصة مركزية للتجارب النقدية العربية السابقة، ولما يميّز به من استخدام مضبوط ومحدد للمصطلحات"¹³

ولقد اعتمد الباحث في تحليل التصووس السردية على منهجين رئيسيين هما: البنوية والسميائية وهنا يلحظ الباريس اشتغال الباحث على تأصيل السميائية السردية في هذا الباب. أمّا القسم الرابع من القسم النظري لهذا الكتاب والذي عنوانه بـ "البنية التركيبية للقصّة" برصد الأصول الشكلانية للنظرية السميائية، باعتبارها من الخلفيات المعرفية التي أثرت المشروع السردية السميائي وذلك بداية من دراسات العالم الفرنسي "جوزيف بيدي" "Joseph Bédier" الذي تنسب ريادة الدراسات البنوية لكتابه "الخرافات" الذي نشر في نهاية القرن التاسع عشر، والذي يعرض فيه رؤية جديدة لدراسة القصّة التي اعتبرها كياناً عضواً حياً يتم هدمه بمجرد إسقاط أحد مكوناته الأساسية "القصّة كيان حي،

ومادام كذلك فهو يخضع لعدد من الشروط من أجل أن يحافظ على حياته ... إنه أساساً يتكون من مجموعة من الأعضاء بحيث لا يمكن الأساس بأي منها دون أن يتم القضاء عليه"¹⁴ لكن الباحث يرى أنّ محاولة (بيديي) توقفت عند هذا الحد وذلك بعد أن عقد مقارنات بين الروايات القصصية المختلفة في عناصرها الشكلية الثابتة دون أن يتم بتحديد هذه العناصر، ووصف الكيفية التي تعمل بها. ثم تتبع الباحث بعد ذلك نموذج (بروب) وانتقاداته لدراسات من سبقوه إلى محاولة وصف الحكاية الشعبية ويتعلق الأمر ب (فلسوفسكي) و(بيديي) و(فولكون)، حيث يرى (بروب) أن تمييز (فلسوفسكي) بين الموضوعات والحوافز (الموتيفات) واعتبار أن هذه الأخيرة هي الوحدات الأساسية والثابتة التي تتركب منها الأولى أمر لم يعد قابلاً للتطبيق. ف (بروب) يجتد عزل العناصر الأولية للحكاية بطريقة تختلف عن تلك التي اتبعتها (فلسوفسكي)، وأكد استحالة تحديد جوهر القصة أو النواة الثابتة التي يتحدث عنها (بيديي)، وعدم إمكان عزلها عن العناصر المتغيرة، أما اعتراضه ل (فولكون) كون هذا الأخير اعتبر الموضوع وحدة ثابتة ونقطة الانطلاق"¹⁵

من هذا المنطلق رسم (بروب) دراسته المورفولوجية للحكاية الخرافية Morphologie du Conte merveilleux كهدف له من خلال "وصف الحكايات حسب أجزائها المكونة وعلاقة هذه الأجزاء ببعضها وبالمجموع". ويرى الباحث (بورايو) أنه إذا كان الفضل يعود إلى (بيديي) في اكتشافه أنّ القصة ليست تجميعاً غير مستقر لموضوعات غير ثابتة، خاضعاً للتأثيرات الجغرافية والتاريخية كما كان يعتقد معاصروه، إنّما هي كائن حي ينمو حول نواة ثابتة (...) فإن بحث (فلاديمير بروب) سار بالتحليل الشكلي للقصص شوطاً كبيراً يعد البداية الحقيقية لمرحلة جديدة من تاريخ "علم القصص" حيث وضع أسس المنهج البنوي عندما كشف عن وجود نموذج فريد للبنية التركيبية للحكاية الخرافية الروسية"¹⁶

أما الانتقادات التي وجهت لمنهج (بروب) فقد أشار إليها الباحث في هذا الموضع حتى تتضح الرؤية أكثر للقارئ من خلال رسم المسار الذي سلكته هذه المناهج، ويتضح ذلك من قوله "لكن بروب هو الآخر لم يسلم من الانتقادات وهو ما سنحاول أن نبينه من خلال عرضنا للانتقادات التي وجهها هؤلاء الباحثين لمنهج (بروب) وكذلك التعديلات التي اقترحوها، أن نستخلص الاتجاه العام الذي سلكته النظريات التي تجاوزت ميراث فلاديمير بروب"¹⁷ يحاول الباحث بورايو في دراسته "منطق السرد" أن يتعرض لأهم الانتقادات التي وجهت لبروب في دراسته المورفولوجية للقصة، بدءاً من اعتراضات الباحث (آلان دندس) الذي يعد أقرب الباحثين وأوفاهم لوجهة نظر (بروب) حيث حاول تطبيق منهجه بشيء من الأمانة في دراسة حول "القصص الشعبي لهنود أمريكا الشمالية، دون أن يدخل عليه تحويلات جذرية على الأسس المنهجية التي وضعها (بروب). وقد تمثلت إضافاته في تحديد بعض المفاهيم الأساسية، وإبراز بعضها الآخر، لكونها لم تكن واضحة الملامح لدى (بروب)، كما أعطى للمنهجية البروبوية شيئاً من المرونة والخصوبة.

أما (ليفي ستروس) "Claude Lévi-Strauss" فيعد أشدّ الباحثين انتقاداً ل (بروب) حيث وصفه بكونه شكلياً، ونفى إمكان انتسابه للبنويين، وذلك في مقال له تحت عنوان "البنية والشكل: ملاحظات حول كتاب فلاديمير بروب"¹⁸، وجه له فيه عدّة انتقادات "من أهمها أن بروب عزل الشكل عن المحتوى ... وقد أدى هذا الفصل - حسب رأي ليفي ستروس - إلى التوصل إلى أنّه ليس هناك سوى حكاية خرافية واحدة، وبهذا تكون الشكلانية قد قضت على موضوعها فألغت خصوصية كل حكاية، وجعلت جميع الحكايات الخرافية حكاية واحدة، زيادة على ذلك "هناك انتقادات تتعلق بعلاقة الحكاية بالأسطورة وما مدى فعالية النموذج البروبوي في تحليل الأسطورة"¹⁹

أما الانتقادات التي وجهها (أ.ج. غريماس) الذي ينطلق من مفاهيم نظرية في مسألة المعنى والتي صمّمها كتابه "في المعنى" و"الدلالة البنيوية" من أجل إقامة نموذج عام يحكم التأليف القصصي، باعتباره نظاماً دلاليّاً، ساعياً إلى بناء نظرية عامة للتسميات، فرغم أنّه اتخذ من النتائج التي استخلصها (بروب) كقاعدة لبناء نوعين من النماذج: نماذج للأدوار القصصية، ونماذج للتحوّل الذي يصيب محتوى هذه الأدوار، إلا أنّ (بروب) لم يسلم من انتقادات (غريماس) الذي يرى أنّه قام بمحصّر عدد الشخصيات في النموذج المصغر لعلم القصة لكتته بالغ في التحديد الشكلي للشخص، فجردّها من كلّ محتوى. كما قام (غريماس) بإجراء تعديلات على مستوى الوظائف.

يشير (بورايو) في آخر هذه الانتقادات إلى اعتراض (كلود بريمون) "Claude Bremond" في كتابه "منطق القصة" إلى تقييم منهج (بروب) فرغم أنه يشهد له بسلامة تحديد الوحدة الصغرى للقصة، وهي الوظيفة التي تمثل أصغر جزء دلالي في السرد القصصي، إلا أنه يرى أن (بروب) قد وقع في ضرب من التعسف عندما جعل الوظيفة الواحدة ينتج عنها بالضرورة الوظيفة التالية لها".²⁰

لم يكن الباحث بمحاولة التأصل لهذا المنهج من خلال إرجاعها للشكلايين وإنما حاول التنقيب عن أصولها في الدراسات اللغوية العربية إذ نجده يشير إلى التمييز الذي أقامه (ابن خلدون) بين العلوم القياسية المتصفة بقوانينها الثابتة، وبين الأسلوب. إذ يكمن الفرق بينها في "كون العلوم القياسية تمثل مجموعة من القوانين المستقرة التي تعلم ما ينبغي أن يكون عند التعامل مع اللغة، بينما الأسلوب هو حيلة ممارسة الظاهرة الأدبية والتعامل معها، فهو يتعلق بما هو كائن وليس بما ينبغي أن يكون، والذي يعرفه بقوله "الموال الذي تنسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه (...). صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو الموال"²¹

كما يرى الباحث "أن حديث (ابن خلدون) عن الأسلوب وعن التقاليد الأدبية في صورتها المجردة أو النموذجية وفي تشبيهه إياها بالقالب أو الموال يقترب من المفهوم الذي يسميه النقد الحديث "النموذج البنائي" الذي تنتج المادة الأدبية في حدوده"²²

من هذه المنطلقات يسعى الباحث إلى التمهيد لرؤية منهجية يحاول من خلالها الولوج إلى النص الأدبي ومحاولة استنطاقه، عبر استخراج عناصره وبناءه، لذلك يرى أنه من المهام الأساسية المنوطة بالنقد الأدبي في تعامله مع النصوص الأدبية، الكشف عن تلك النماذج أو الصور الذهنية الكامنة خلف عناصر النصوص الأدبية المتحققة وتمييز ما هو موروث منها عما هو مبتكر، وهو ما يمكننا من معرفة الجانب العام والجانب الخاص في الإنتاج الإبداعي.

إن عمق هذه الطروحات المنهجية في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر يعكس مدى وعي الناقد الجزائري بضرورة إعادة النظر في التعامل مع النص الأدبي بمنهج أكثر علمية. فالباحث (بورايو) يقف عند مفهوم المنهج معتبراً إياه تلك "الوسائل والإجراءات التي تمكن من السيطرة على مادة معينة، وخصها خصاً دقيقاً، ومعرفة حقيقتها والكشف عنها"²³، والمقصود بالمادة هنا هي النص الأدبي، وهذا ما قاده إلى الحديث عن موضوع الدراسة الأدبية، يقول: "إن ما يمكن أن يميز الدراسة الأدبية عن أنواع الدراسات الأخرى ويكفل لها استقلاليتها هو كونها تتخذ من أدبية الأدب موضوعاً لها، وهو ما تبه إليه الشكلايون الروس، وأصبح من المسلمات التي تنطلق منها البحوث الأدبية"²⁴

قد تعامل الباحث (عبد الحميد بورايو) مع هذه المناهج بمختلف آلياتها باعتبارها أداة لولوج النصوص ومحاولة استنطاقها وهذا ما صرح به الناقد (رشيد بن مالك) بقوله: "من ذلك أن نصوص عبد الحميد بورايو (...) لم تتعامل مع السيميائية على أنها غاية في حد ذاتها بل تبنتها لأنها وسيلة مسخرة لفهم الإشكاليات التي يطرحها التصدي للمعنى المخفي في الممارسات الإنسانية الدالة والمجسدة في اللسان وغير اللسان"²⁵

من هذا المنطلق يدعو الباحث إلى إعادة النظر في تلك الدراسات التي تستمد مناهجها وطرق بحثها من المعطيات الخارجية للنصوص الأدبية وبقيت تحوم حول النصوص، حيث أولت عنايتها بكل ما يحيط بالنص دون الاهتمام بالجانب الإبداعي، والتوجه نحو الدراسات السقوية التي اهتمت بالمعطيات الجوهرية التي تشكل الإبداع الأدبي، ويشيد بهذه الدراسات التي حاولت التخلص من تلك القيود التي فرضت على النصوص، ومحاولة استنطاقها انطلاقاً من الداخل، يقول: "لقد عرفت جميع الثقافات بمختلف اللغات توجهاً نحو علمنة الدراسة الأدبية استناداً للمنجزات العلمية للفروع اللسانية (...). وقد عرفت الفترة الحالية من تاريخ الدراسات الأدبية نمو مباحث جديدة بالاطلاع تتميز بالثراء، تندرج ضمن ما يسمى بالسيميائيات، وهي مشروع بحث يعتمد في دراسته للنصوص الأدبية على نتائج اللسانيات والإناسة الثقافية والاستمولوجيا"²⁶

وإذا كانت الدراسات السيميائية عند الكثير من النقاد العرب قد جمعت بين أكثر من توجه، وتبنت أكثر من رؤية، فإن معظم جهود الباحث (عبد الحميد بورايو) قد توجهت نحو منهج واحد، وقد أعرب الباحث عن المجال الذي أثار الاشتغال فيه وهو السرديات السيميائية، وذلك بإعلانه وبشكل دقيق ومحدد عن الإطار المنهجي الذي يتحرك

ضمنه، يقول: "نستمد أغلب أدواتنا المنهجية من نصوص تنتمي في أغلبها لنفس المدرسة السيميائية من منظور (غريماس) المنفتح على الدلالة السردية، التي يمكن أن نطلق عليها المدرسة الغريماسية ذات التوجه الشكلياني، والتي كان لها اليد الطولى في تطوير السرديات (أو علم السرد) منذ الستينيات حتى اليوم، وكان لها امتدادها في الدراسات السردية الحديثة عبر دوائر البحث العلمي في الشرق والغرب"²⁷

بعد إعلان الباحث عن توجهه المنهجي، والإفصاح عن الاتجاه الذي أثر الاشتغال فيه وهو "السرديات السيميائية" من منظور (غريماس) المنفتح على الدلالة السردية، يكون قد رسم حدود المساحة التي يتحرك فيها، ولم يكتف الباحث بذلك بل توه بالدور الذي قامت به المدرسة الغريماسية في تطوير السيميائيات السردية ضمن اختصاص السرديات، والشئ الذي يؤكد ذلك هو "اعتبار (كلود برمون) (claud Bremond)، وهو من المنتمين إلى المدرسة السيميائية. أحد رواد السرديات"²⁸، وهذا تصريح بعدم فصل هذا الباحث بين الاتجاه الشكلي في السرديات، وبين الاتجاه الدلالي السيميائي السردية.

حاول الباحث أن يقف عند تيار واحد، وتحديداً السيميائية السردية (مدرسة باريس) في محاولة للكشف عن النتائج العلمية المحققة في هذا المجال، وإقامة تواصل حقيقي مع القارئ العربي من خلال فهم السيميائية وتمثلها والاستغلال على الخطاب السيميائي التأثري وترويضه ليكون جديراً بقراءة لا يلقي القارئ العربي صعوبة في تلقي هذه المعرفة الجديدة على الفكر التقدي العربي المعاصر في ظل تداخل المفاهيم.

وفي هذا الشأن يرى الناقد (رشيد بن مالك) "أنّ كلاً من الباحثين (عبد بورايو) و(سعيد بن كراد) قد عمدا في دراساتهم إلى ترويض هذا الخطاب التقدي (السيميائي) ومحاولة تبسيطه للقارئ، مع المحافظة - في الوقت نفسه - على إطاره العام، وقد أعرب عن ذلك بقوله: "إنّ قراءة سريعة في هذه البحوث تجعلنا ندرك أنّ الباحثين اشتغلا على الخطاب التقدي وروّضاه بشكل تقادري فيه كل تعقيد مصطلحي وجنحوا في ذلك إلى التبسيط دون أن يتخلوا في صناعة نصوصهم عن الإطار السيميائي العام الذي يفرضه مقام البحث"²⁹

وعلى هذا الفرش المنهجي حاول الباحث بناء نظريته السيميائية، معتمداً على مقترحات (غريماس)، وعمد إلى توظيفها بإدراك ودقة رؤيته، ليكون تعامله معها واعياً، وتلقيه لها مميزاً ومختلفاً عن كثير من الدراسات التقدي العربية التي أضحت مجرد مخططات بلا محتوى، وفي الوقت نفسه حرص على عدم الوقوع في فخ التقليد والإسقاط، محاولاً التأسيس لرؤية نقدية تفيد من الآخر دون الارتباط به ارتباطاً حرفياً، أي لا بد أن يراعي طبيعة النص المعالج وخصوصيته وينصت إلى ما يمليه عليه النص والانطلاق منه باعتباره بنية وكياناً منظماً ومكتملاً، فالتصّ عالم خاص، له أنظمتها الخاصة به التي ينطلق منها الناقد، سعياً إلى مساءلته واستنطاقه بالتحليل والتفكيك لسبر بنية هذا النظام الذي يعد بنية لغوية مغلقة نظامها الداخلي هو المرجعية الوحيدة للدراسة، فالسلطة - حسب الناقد - تعود إلى النص لا إلى المنهج وإجراءاته على خلاف بعض التقاد الذين يجعلون المنهج فوق كلّ اعتبار. وفي هذا الإطار يقول "لقد حرصنا في معالجتنا المختلفة (...) على استبعاد المفاهيم المنقولة بشكل حرفي عن الدراسات الغربية كما عملنا على تجاوز التطبيقات الميكانيكية التي تعتمد على أدنى جهد تأصيلي وتمثلي لهذه المفاهيم، وذلك درءاً للمزالق التي تقع فيها عادة الدراسات النقدية الضحلة المستكنة لراحة السهولة والكسل المعتمدة على اجترار المفاهيم السطحية المستهلكة"³⁰. فالباحث تجنب النقد الآلي بمعطيات النظرية وإخضاع النص لآليات هذا المنهج دون مراعاة خصوصية النص المدروس وقولية النص بما يتلاءم والمنهج بل العكس، فقد عمد إلى تطويع المنهج للنص وهو ما يظهر جلياً في تحليل النصوص الشعبية من خلال الابتعاد قدر الإمكان عن تحاليل تغرق في المفاهيم التقنية التي لا تقدم تصورات في قراءة النص في تميزه وخصوصيته.

3- الترجمة للنظرية السيميائية:

لقد تنبه الباحثون إلى الدور الكبير الذي تؤديه الترجمة إذ تعتبر عاملاً مهماً في انتقال المناهج الغربية بمفاهيمها النظرية وأجراءاتها التطبيقية إلى النقد العربي، وتضييق الهوة المعرفية بين الثقافتين الغربية والعربية في ظل تراكم المعارف وفي ظل التسارع الرهيب الذي يحتاج الغرب في المجال المعرفي، وما نتج عنه من زخم مفاهيمي ومصطلحاتي بدءاً بالمنهج التاريخي وصولاً إلى المناهج الحديثة والمعاصرة. فالتقدي العربي عامة والجزائري بصفة خاصة أصبح بحاجة إلى تجديد أدواته

وتحديث آلياته بعد أن طغت عليه المناهج السياقية، وفي ظل التسارع النقدي الرهيب الذي يجتاح الغرب في المجال المعرفي، كان لزاماً على نقادنا أن يواكبوا هذا التسارع، ويسعوا إلى ترجمة تلك التطورات التي تظهر بين الفينة والأخرى، وإن كان هذا المجال (الترجمة) لا يزال يعاني من غياب التخصص، إذ أنّ معظم الأعمال النقدية إن لم نقل كلها تعود إلى جهود فردية غالباً ما يكون أصحابها أفراداً غير مختصين، حاولوا ترجمة تلك النصوص رغبة منهم في تعميم الفائدة، وتدارك النقص الحاصل على مستوى التمثيل، متجشمين في ذلك عناء الوقوع في بعض الأحيان في مزالق وانزياحات مفهومية واصطلاحية مما قد ينجر عن ذلك التباس لدى القارئ العربي، وفي هذا السياق يقول الناقد المغربي (محمد برادة) "إنّ مرجعيات الثقافة المترجم عنها هي متباينة ومختلفة عن سياقنا الخاص، ومن ثمّ فإنّ الذات القارئة الساعية إلى المعرفة تجد نفسها أمام اختبار قوي، لأنّ الترجمة تخرجها من إقليميتها لتلقي بها إلى رحاب المجهول ومناهات الأفكار والمشاعر القصوى التي ربما لم تصادفها داخل ثقافتها"³¹

وسعيّاً من الباحث بورايو لإثراء مشروعوه النقدي، وسدّاً للفراغ الذي يعاني منه النقد العربي في هذا المجال، وإضاءة الطريق للقارئ العربي عامة والجزائري بصفة خاصة لمواكبة مستجدات وتطورات الراهن النقدي الغربي أقدم الباحث (بورايو) على ترجمة مجموعة من النصوص إلى اللغة العربية، هذه النصوص التي تمّ جمعها وانتقاؤها من مصادر مختلفة لأجل غرض محدد، وتطلّعاً إلى تبني رؤية مقاربة في الترجمة تهدف إلى الإحاطة أكثر بالجوانب التي تتفتح عليها السيميائيات السردية على الرغم من التفاوت المسجل في تاريخ صدور هذه الأعمال.

أقدم الباحث على ترجمة بالغة الأهمية والتي تعد من بين أهم أعمال هذا الباحث في هذا المجال (الترجمة) والموسومة بعنوان الكشف عن المعنى في النص السردية وهي سلسلة مكونة من ثلاثة أجزاء: "النظرية السيميائية السردية"، "والسرديات والسيميائيات"، و"السرديات التطبيقية"، ترجم فيها أعمال بعض أقطاب السيميائية الغربيين في مجال السرديات التي بلورت الإنجازات السيميائية السردية الراهنة بهدف تقديم دراسات نموذجية لمجموعة من النصوص التراثية لمواد من التراث الشعبي العربي والعالمي من قبل مختصين مسلحين بوسائل منهجية حديثة لعلها تكون حافزاً للطلبة والباحثين على خوض غمار هذا الدرس، والاعتناء بالنص التراثي الشعبي المحلي بالاستفادة من مناهج التحليل البنوي والسيميائي، وقد تمت ترجمة هذه الدراسات خلال الربع الأخير من القرن الماضي، وذلك "بغرض تعليمي، تمثل في تقديم "السرديات"، وهو فرع دراسي لقي رواجاً في الثقافة العربية في هذه الفترة التاريخية.

تعد هذه الدراسة (الكشف عن المعنى في النص السردية) وبخاصة في قسمها الأول (النظرية السيميائية السردية) امتداداً للمشروع النقدي السيميائي الذي بدأه الباحث (بورايو) وذلك من حيث الإطار المنهجي العام الذي يركز أساساً على التدقيق في المفاهيم والأدوات النظرية والاشتغال على المصطلح السيميائي، فهي واحدة من الدراسات الجادة والمتميزة في هذا المجال، إن على مستوى الطرح المنهجي أو على مستوى الأهداف المسطرة من قبل الباحث.

يهدف الباحث من خلال نشر هذه الترجمات إلى المساهمة في تطوير النقد الجزائري وخاصة الأكاديمي من خلال "تقديم مساهمة قد تسمح بتوضيح المفاهيم المنهجية التي حكمت تطور الدراسة الأدبية في المحيط الجامعي الجزائري خلال الربع الأخير من القرن الماضي، والتي تمّدت إلى تطور الدراسات السردية في العشرية الأولى من القرن الحالي"³² تنقسم هذه الدراسة إلى قسمين أساسيين: قسم نظري وقسم تطبيقي، ركز الباحث في القسم الأول على مبادئ السيميائيات الشكلانية في صيغتها الفرنسية والمسماة بـ"مدرسة باريس"، أما القسم الثاني فقد احتوى على مجموعة من الدراسات المتنوعة بعضها طبق مبدأ التحليل السيميائي، وبعضها الآخر استعمل المنهج البنوي دون أن يتقيد بآليات التحليل السيميائي.

يضم الكتاب الأول "النظرية السيميائية السردية" مجموعة من المقالات والدراسات المترجمة عن اللغة الفرنسية، تشترك جميعاً كما يقول الباحث "بكونها تعالج الخطاب السردية من أوجه مختلفة ووفق مقاربات منهجية متعددة، يجمع ما بينها العناية الكبيرة بالبنية السردية التي تستمد وسائلها المنهجية من البنوية والسيميائيات.

وقد خصص الباحث الباب الأول من هذا الكتاب لترجمة ثلاثة نصوص للباحث (أ.ج. غريماس)، تتعلق بتعريفات اصطلاحية لبعض المفاهيم التي يقوم عليها التحليل السيميائي.

كما أقدم الباحث على ترجمة دراسة أخرى بالاشتراك مع الباحث (رشيد بن المالك)، وهي دراسة تطبيقية للباحث (جوزيف كورتيس) بعنوان "التحليل السيميائي للخطاب: التشاكل والتربط بين التعبير والمضمون: الموكب الجائزي" تحاول هذه الدراسة التطبيقية كما يقول المترجم "أن تسخر النظرية السيميائية لفهم وتأويل الظواهر النصية والاجتماعية، بوصفها مجموعات دالة يتطلب إدراكها، وبناء عناصرها من الداخل والإطلاع على الآلية التي تحكمها".³³ وقد بين المترجم أن هناك اعتبارين أساسيين يقفان وراء اختيارها لترجمة هذا النص، أولهما: إشعار الباحثين المهتمين بالدراسات الأنثروبولوجية بأهمية الاقتراب السيميائي من الظواهر الاجتماعية، وضرورة العمل على تحديد الخطاب في العلوم الاجتماعية باللجوء إلى الأدوات الإجرائية المسخرة في التحليل السيميائي. وثانيهما: إشعار القارئ العربي بأن التحليل السيميائي تجاوز دراسة النصوص إلى حقول معرفية أخرى، وهذا دليل على فعاليته العلمية³⁴

وحرصاً من الباحث إلى مسايرة ما استجد على الساحة النقدية في مجال تحليل الخطاب الأدبي فقد أقدم الباحث (بورايو) على ترجمة كتاب لـ (برنار فاليت) بعنوان "الرواية - مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي" الصادر سنة 2002 عن دار الحكمة، الجزائر. جاء هذا الكتاب مندرجاً ضمن سلسلة تضم دراسات مختلفة ومتنوعة موجهة لطلبة الجامعة بغرض تعريفهم بأهم النتائج التي عرفها تطور البحث في العلوم الإنسانية وفي الدراسة الأدبية. ويسعى الباحث من خلال هذه الترجمة إلى فتح نافذة إلى ما توصلت إليه جهود البحث الأدبي في اللغات الأجنبية، من أجل الاستفادة وإتاحتها للطلبة والباحثين في الجزائر وفي البلاد العربية، وكذلك المساهمة في وصل البحث الأدبي باللغة العربية بنظيره في البلاد الأخرى، وخاصة تلك التي قطعت أشواطاً مهمة في هذا الميدان والعمل على نشر الوعي النقدي وإثراء المعارف والمفاهيم المنهجية والمصطلحية، وتقديم نموذج للتأليف المدعم للنشاط التعليمي، حتى يكون دافعاً للمشتغلين بميدان الدرس الأدبي في الجزائر وفي البلاد العربية، وأن يكون حافزاً لهم على خوض مثل هذه التجارب التي يتوقع الباحث يكون لها أثر كبير في الرفع من مستوى العناية بالدراسات الأدبية

وقد عمد الباحث "بورايو" إلى ترجمة هذا الكتاب نظراً للأهمية التي يحويها، فقد حرص فيه "برنار فاليت" على:³⁵
أولاً: تبسيط المعارف النظرية والتطبيقية المتعلقة بمعالجة الخطاب الروائي ليتمكن الطلبة الباحثين المبتدئين وقراء النص الروائي من اكتساب خبرة تمكنهم من التعامل مع النص الروائي.

ثانياً: التعريف المركز والمجمل بالجهود المنجزة في مجال نقد الرواية وتحليل خطاباتها من طرف أهم المدارس النقدية الحديثة والمعاصرة.

ثالثاً: تقديم مدونة واسعة من الأعمال واسعة من الأعمال الروائية الفرنسية، ومن الدراسات النقدية الفرنسية ليستعين بها الباحثون والطلبة في إنجاز أعمالهم واستيعاب تاريخ تطور الفن الروائي في فرنسا وأهم مدارسه وكذلك الحركة النقدية التي واكبته بمختلف توجهاته.

وقد أعرب المؤلف (برنار فاليت) عن الهدف المتوخى من هذه الدراسة بقوله: "لقد اقترحنا هذا المدخل للرواية، أردنا بذلك بيان تنوع المقاربات والمناهج التي قامت خلال قرن والتي سمحت بتجديد الدراسات الأدبية أحياناً بصفة جذرية"³⁶ ويسعى المؤلف من خلال هذه الدراسة إلى أن يكون مستوعباً لأهم منجزات تحليل النص الروائي وشاملاً لختلف المعالجات النقدية على اختلاف مناهجها وأصولها المعرفية، في لغة زاج فيها بين البساطة والعمق، مدعمة بجهاز اصطلاحي واسع، ومبرجعات متنوعة وثيرة³⁷

ولم يخف الباحث (بورايو) الصعوبات التي اعترضته في هذه الترجمة والمثثلة في إيجاد المقابل الاصطلاحي المناسب، ولذا "سعى إلى تجاوز هذه الصعوبة عن طريق الاستفادة من أهم الدراسات العربية الحديثة للأدب الروائي وكذلك اللجوء إلى بعض المعاجم المتخصصة المتوفرة في اللغة العربية مثل "قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص" للدكتور (رشيد بن مالك)، وقاموس "المصطلح النقدي" الذي اقترحه الدكتور (عبد القادر بوزيدة) في إطار وحدة بحث مسجلة بجامعة الجزائر، إضافة إلى ما اقترحه الباحث نفسه في دراساته السابقة حول نصوص الأدب الروائي الجزائري، والتي نُشرت في كتابه "منطق السرد - دراسات في القصة الجزائرية الحديثة"³⁸

أما الصعوبة الثانية التي اعترض المترجم في هذه الدراسة فتمثلت في ترجمة التعليقات النقدية على الشواهد المستقطعة من مدونة واسعة جداً من الروايات الفرنسية التي ظهرت منذ القرن التاسع عشر، نظراً لكون هذه التعليقات تعالج

نصاً في اللغة الفرنسية وتستعين باليات قراءة وممعج اصطلاحى يتعلق مباشرة بخواص هذه التصوص في لغتها الأصلية، وهي خواص قد تعجز الترجمة عن الكشف عنها أو بيانها بسبب الفروق اللغوية بين اللغتين؛ المترجم عنها والمترجم لها. وفي هذه الحالة حاول المترجم الاقتراب من المفهوم الأصلي، من خلال استخدام مصطلحات عربية مع إثبات المصطلح الأجنبي مقابلها لتسهيل عملية إدراكها على القارئ العربي. وتضم هذه الدراسة مجموعة من الأعمال المتنوعة تعالج في مجملها أهم المنجزات في تحليل النص السرديّ على وجه العموم، والنص التروائيّ بصفة خاصة. حيث أشار إلى أهم الأعمال التي عرفتها الساحة الأدبية في مختلف الأنواع السردية الشفوية منها والمكتوبة، ليعرج على إسهامات اللسانيات في قراءة الترواية، بداية اهتمامات (إميل بنفست) بالمفوض مرورا بتحليل الجملة وصولاً إلى تحليل الخطاب.

ترجمة أخرى قام الباحث لمجموعة من التصوص لـ (دليلية مرسل) وآخرين، جمعها في كتاب بعنوان "مدخل إلى السيميولوجيا (نص، صورة)" هذه التصوص هي في الأصل دروس أقيمت على طلبة جامعة الجزائر، وهي ذات طابع تعليمي تنحو التبسيط وبيان المبادئ الأساسية للسيميولوجيا.

تضمنت هذه الترجمة أربعة نصوص تشترك كلها في دراسة نظم الدلائل حيث يشير الباحث إلى ذلك بقوله: "تمثل الصفحات التالية دروساً أقيمت من طرف مجموعة من أساتذة اللغة الفرنسية ومعهد العلوم السياسية والإعلام بجامعة الجزائر كانت موجهة خصيصاً لطلبة مواد سيميولوجيا الإعلام، ووسائل الاتصال، السيميولوجيا، يمكنها أن تفيد جميع الذين يحسون في عملهم، بأنهم معنيون بدراسة نظم الدلائل ويبحثون عن مناهج مناسبة لها"³⁹ ركز الباحث في هذه الدراسة على جانب يتوافق مع دراسته وهو ما تعلق بنص "مفاهيم أولية عن السيميولوجيا" للباحثة (دليلية مرسل) الذي تعرض فيه المسار التاريخي للتفكير السيميائي الأوربي باتجاهاته المختلفة، وأعلامه ورواده بداية بتأملات (فردينان دو سوسير) اللسانية مروراً بجهود (إميل بنفست) و(ج. مونان) و(ج.مارتيني) و(ل.ج.بريطو) وصولاً إلى أعمال (رولان بارث) التي ارتكزت عليها سيميولوجيا الدلالة، وقد اقترحت الباحثة في هذه الدراسة مقاطع من كتابه (أس.زاد) ليكون موضوعاً للشرح في الأعمال التطبيقية.

نص آخر تضمنه كتاب "مدخل إلى السيميولوجيا (نص- صورة)" وهو ما تعلق بنص "خطاب - قصة" للباحث (مارك بوفات). هذا النص يتميز عن التصوص الأخرى كونه ألقى على طلبة قسم اللغة الفرنسية، حيث قام الباحث بترجمته وذلك لتعميم الفائدة وتمكين القارئ الجزائري والمشتغل في هذا المجال من اكتساب هذه المعرفة. يرمي الباحث من خلال هذه الدراسة إلى مد الجسور بالترجمة، وكسر الحواجز القائمة بين الدراسات الأدبية باللغة العربية ونظيراتها باللغات الأجنبية في الجامعة الجزائرية بهدف تعميم المعرفة وهذا ما عهدناه في دراساته المتنوعة، وفي الوقت نفسه تمكين الطلبة في معاهد العلوم الانسانية والآداب من بعض المبادئ الأولية لهذا الفرع الجديد في البحث الأدبي والثقافي، ويرى الباحث (بورايو) أن هذا الفرع قد استطاع بفضل طروحاته المنهجية وإنجازاته أن يقارب بين مختلف فروع دراسة الإنتاج الثقافي البشري، مما اختلفت وسائل تعبيره، كالكتابة الأدبية والإنتاج السمعي البصري والأداء الفني الشفوي.

ورغم الصعوبات التي اعترضت الباحث في ترجمة هذه النصوص وخاصة ما تعلق من غموض بعض المصطلحات وتداخل المفاهيم في أحيان أخرى، لأن ترجمة النصوص الأدبية الأجنبية من أصعب أنواع الترجمة لأن المترجم يتعامل مع نصوص تطفئ عليها عناصر الإيحاء الأدبي وهو الأمر الذي يتطلب منه مراعاة البعد الجمالي، إلا أنّ الباحث "بورايو" استطاع أن يتجاوز تلك الصعوبات يقدم للقارئ دراسات تمكنه من الاطلاع أكثر على الخطاب السيميائي وما يحمله في طياته من محاولات معرفية تمكنه من التعامل مع هذا الخطاب بمرونة.

- خاتمة:

يتضح مما تم بسطه أنّ مقاربات الباحث "عبد الحميد بورايو" المتسمة بالوعي التقدي يمكن أن تندرج بوصفها مشروعاً علمياً خصباً في التقد السيميائي في الوطن العربي سواء تعلق الأمر بالجانب التنظيري أو التطبيقي، والملاحظ على دراساته أنّها دراسات يسعى الباحث دائماً إلى مواصلة ما بدأه في الدراسة السابقة وتطويره، وعياً بقصور المناهج التقديّة وعجزها عن الإمساك بحمولة التصوص السردية، وهو ما جعل هذه الدراسات تتسم بالتكامل والتعلق فيما بينها

انطلاقاً من توجهات الباحث وقناعاته النقدية والمنهجية، كما مكنت هذه الدراسات من خلق رؤية، تكون منطلقاً لتأسيس نقد عربي ذي خصوصية تميزه عن النقد الغربي وإن كانت المرجعيات غربية أساساً، كما ساهم الباحث إلى حد كبير في إثراء وتعزيز المشهد النقدي الجزائري والعربي، وكان له السبق من خلال تطبيق هذه المناهج المعاصرة على النص الأدبي الشعبي الذي عانى من التهميش، كما نخلص من هذه الدراسة إلى أنّ التجربة النقدية للباحث "بورايو" قادرة على التفاعل مع الآخر واكتشاف ذاتها من خلال تطبيق المنهج السيميائي على النصوص العربية دون إلغاء لخصوصية هذه النصوص. ومن جهة أخرى لا بد أن نقر بأنه رغم هذه الجهود التي قدّمها الباحث "بورايو" في ميدان التأسيس والتأصيل للمعرفة السيميائية، لكن لا بد أن نشير في خاتمة هذه الدراسة إلى أنّ النقد الجزائري ما زال بحاجة ملحة وضرورية لمثل هذه الجهود التأصيلية، التي تسائل نشأة هذه النظريات الغربية وأصولها، وتعمل على ربطها بأسبقيتها الثقافية والمعرفية المكونة لها ومن ثمّ المساهمة في بلورة الوعي النقديّ وتأصيل هذه المعارف الدخيلة.

- قائمة الإحالات:

- 1: يوسف وغلبسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، رابطة إبداع الثقافة، الجزائر، د، ط، 2000 ص 09.
- 2: ينظر: عبد الحميد بورايو، منطق السرد - دراسة في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 23.
- 3: عبد المالك مرتاض، أي دراسة سيميائية تفكيكية، لقصيدة أين ليلاي، ص 18-19.
- 4: المرجع نفسه، ص 28.
- 5: هامل بن عيسى، واقع الخطاب السيميائي في النقد الأدبي الجزائري، مخطوط ماجستير، جامعة وهران، 2006 ص 96.
- 6: ينظر: محاضرات الملتقى الثاني السيميائي والنص الأدبي، جامعة بسكرة، أبريل 2002، ص 165.
- 7: العيد بمني، في معرفة النص الأدبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 1، 1990، ص 22.
- 8: ينظر: الجابري محمد عابد، نحن والتراث: قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 2، 1982، ص 37.
- 9: العيد بمني، المرجع السابق، ص 22.
- 10: ينظر: هامل بن عيسى، المرجع السابق، ص 03.
- 11: قادة عقاق، السيميائيات وتجلياتها في النقد المغاربي المعاصر (نظرية غريغاس نموذجاً)، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي (مخطوط)، جامعة جيلالي لباس، سيدي بلعباس، 2004، ص 303.
- 12: ينظر: حوار مع عبد الحميد بورايو / توقيع اللقاء د. علي ملاحي، 2009.
- 13: ينظر عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص 05.
- 14: Joseph Bédier, Les Fabliaux, 6 eme édition, Paris Honoré champion, 1964, p 186
- نقلا عن عبد الحميد برايو، منطق السرد.
- 15: عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص 18.
- 16: المصدر نفسه، ص 18 - 19.
- 17: المصدر نفسه، ص 24.
- 18: ينظر: المصدر نفسه، ص 27.
- 19: ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- 20: ينظر: المصدر نفسه، ص 05.
- 21: ينظر: المصدر نفسه، ص 06.
- 22: ينظر: المصدر نفسه، ص 09.
- 23: المصدر نفسه، ص 10.
- 24: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- 25: رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، دط، 2006، ص 34.
- 26: المرجع نفسه، ص 27.
- 27: عبد الحميد بورايو، المسار السردى وتنظيم المحتوى، دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2008، ص 01.
- 28: المصدر نفسه، ص 05.
- 29: رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 34.
- 30: عبد الحميد بورايو، البطل الملحي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1998، ص 89.
- 31: محمد براءة، سياقات ثقافية، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، 2003، ص 287.

- 32: عبد الحميد بورايو، الكشف عن المعنى في النص السردي - النظرية السيميائية السردية-، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2008، ص03.
 - 33: ينظر: بن مالك رشيد، السيميائية: الأصول، القواعد، والتاريخ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص 20.
 - 34: ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
 - 35: ينظر: برنار فاليت، الرواية - مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي، ترجمة: عبد الحميد بورايو، دار الحكمة، الجزائر، دط 2002، ص05.
 - 36: المرجع نفسه، ص 103.
 - 37: المرجع نفسه، ص 04.
 - 38: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
 - 39: دليلة مرسللي وآخرون، مدخل إلى السيميولوجيا (نص، صورة)، ص08.
- قائمة المراجع:**
- 1- برنار فاليت، الرواية - مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي، ترجمة: عبد الحميد بورايو، دار الحكمة، الجزائر، دط، 2002
 - 2- بن مالك رشيد، السيميائية: الأصول، القواعد، والتاريخ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2008.
 - 3- رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، دط، 2006.
 - 4- حوار مع عبد الحميد بورايو/ توقيع اللقاء د. علي ملاحي، 2009.
 - 5- دليلة مرسللي وآخرون، مدخل إلى السيميولوجيا (نص، صورة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1995.
 - 6- عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري: دراسات حول خطاب المرويات الشفوية، الأداء والشكل والدلالة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998.
 - 7- عبد الحميد بورايو، المسار السردى وتنظيم المحتوى، دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
 - 8- عبد الحميد بورايو، الكشف عن المعنى في النص السردي - النظرية السيميائية السردية-، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2008.
 - 9- عبد الحميد بورايو، منطق السرد - دراسة في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1989.
 - 10- عبد المالك مرتاض، أي دراسة سيميائية تفكيكية، لقصيدة أين ليلاي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
 - 11- العبد يمني، في معرفة النص الأدبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
 - 12- قادة عقاق، السيميائيات وتجلياتها في النقد المغاربي المعاصر (نظرية غريماس نموذجاً)، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي (مخطوط)، جامعة جيلالي يابس، سيدي بلعباس، 2004.
 - 13- محمد برادة، سياقات ثقافية، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، المغرب، 2003.
 - 14- محمد عابد، الجابري، نحن والتراث: قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1982.
 - 15- محاضرات المتلقى الثاني السيميائي والنص الأدبي، جامعة بسكرة، أفريل 2002.
 - 16- هامل بن عيسى، واقع الخطاب السيميائي في النقد الأدبي الجزائري، مخطوط ماجستير، جامعة وهران، 2006.
 - 17- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، رابطة إبداع الثقافة، الجزائر، د ط، 2000.